الدراسات البينية في التراث العربي- بحث في جذور الممارسة والتنظير

د. صباح غرايبية*
قسم الآداب واللغة العربية، جامعة قسنطينة 1 الإخوة منتوري (الجزائر)

Interdisciplinary Studies in Arab Heritage - A Study of the Roots of Practice and Theory

Dr. Sabah Gheraibia *
https://orcid.org/0000-0001-8475-8430
Department of Literature and Arabic Language, University Constantine 1 Brothers Mentouri (Algeria),
sabah.gheraibia@umc.edu.dz

تاريخ الاستلام: 24 / 01 /2025 تاريخ القبول: 16 / 03 / 2025 تاريخ النشر: 01 / 06 / 2025

الملخص:

ضع الملخص هنا (يتم الإشارة في الملخص إلى هدف البحث، وأهم النتائج المتوصل إليها في فقرتين). ضع الملخص هنا (يتم الإشارة في الملخص إلى هدف البحث، وأهم النتائج المتوصل إليها في فقرتين).

انطلاقا من أن البينية هي ذلك العلم الذي يبحث في تداخل العلوم المختلفة مع بعضها وتأثير بعضها في الآخر وتكاملها وانسجامها معا لتحقيق الفائدة الدلالية والغاية المعنوية من الخطاب. **فإن الدراسات البينية في التراث العربي القديم** تمثل نموذجًا فريدًا للتكامل المعرفي والتفاعل بين مختلف العلوم والمعارف. على الرغم من أن مصطلح "الدراسات البينية" لم يكن متداولًا بشكله الحالي في الحضارة العربية الإسلامية، إلا أن جوهر هذا المفهوم كان حاضرًا بقوة في النتاج الفكري والعلمي للعلماء العرب والمسلمين

وقد جاءت فكرة هذه الورقة العلمية "**الدراسات البينية في التراث العربي- بحث في جذور الممارسة والتنظير**" للكشف عن الارهاصات الأولى التي أشار بها النقاد والبلاغيون العرب القدماء إلى مفهوم البينية كما تعرفه الدراسات النقدية الحديثة، إذ ثمة مجموعة من الإشارات والملحوظات التي تفضي بالقارئ إلى الإحساس بأنهم قد تنبهوا لبعض أفكار البينية وفقا لما ورد في مصنفاتهم وكتبهم. والغاية من هذا لبحث هو إلحاق تلك الملحوظات والإشارات بما جاء به المعاصرون في حديثهم عن البينية وإظهار مدى التوافق بينها.

كلمات مفتاحية: الدراسات البينية.، التراث العربي.، الموسوعية.، التكامل المعرفي.، النقد الحديث.

Abstract:

Based on the fact that intersection is a science that investigates the overlap of different sciences with each other and the influence of each other and their complementarity and harmony to achieve the semantic benefit and moral end of the discourse. Interactive studies in ancient Arab heritage represent a unique model of cognitive integration and interaction between different sciences and knowledge. Although the term "inter-

* المؤلف المرسل.
* Corresponding author.

studies" was not traded in its current form in Arab-Islamic civilization, the essence of this concept was strongly present in the intellectual and scientific output of Arab and Muslim scientists

The idea of this scientific paper, **"Interdisciplinary Studies in Arab Heritage- A Study of the Roots of Practice and Theory"**, was to look for the first thresholds referred to by ancient Arab critics and journalists to the concept of interiority as defined in recent monetary studies. A series of references and notes lead the reader to feel that they have alerted some of the ideas of the interiors according to their classifications and books. This research aims to attach these notes and references to what contemporaries have come up with in their talk about the interplay and show the extent of compatibility between them.

Keywords: Interdisciplinary Studies; Arab Heritage; Encyclopedism; Cognitive Integration; Modern Criticism.

مقدمة:

في خضم التطور المعرفي المتسارع، تبرز الدراسات البينية كنموذج متقدم للتكامل العلمي والمعرفي، متجاوزة حدود التخصصات التقليدية، وساعية إلى فهم أعمق للظواهر من خلال التفاعل بين مختلف المجالات المعرفية. وفي هذا السياق، يشكل التراث العربي الإسلامي مصدرًا غنيًا وثريًا لممارسات التكامل المعرفي، حيث برع العلماء العرب والمسلمون في تجاوز الحدود الصارمة بين العلوم، وأسسوا لنهج فكري يقوم على التداخل والتكامل. فعلى الرغم من أن مصطلح "الدراسات البينية" لم يكن متداولًا بشكله الحالي، إلا أن جوهره كان حاضرًا بقوة في الإنتاج الفكري والعلمي لهذه الحضارة.

لقد مثل العلماء العرب القدامى - من الجاحظ إلى ابن خلدون، ومن الخوارزمي إلى ابن الهيثم - نماذج حية للباحث المتعدد التخصصات، الذي لا يعترف بالحواجز الاصطناعية بين فروع المعرفة. فقد كان الفيلسوف يجمع بين الفلسفة والطب، والعالم يجمع بين الرياضيات والفلك، والأديب يستشهد بالعلوم الطبيعية في تحليلاته البلاغية .

في ضوء هذا الإرث الثري، تسعى هذه الورقة البحثية إلى استكشاف الجذور المبكرة للممارسات البينية في الفكر العربي، محاولة الكشف عن الإرهاصات الأولى التي أشار إليها العلماء العرب والتي تعكس فهمًا عميقًا للتداخل المعرفي. وتتمحور إشكالية البحث الرئيسية حول السؤال التالي: كيف تجلت مظاهر التكامل المعرفي والممارسات البينية في التراث العربي الإسلامي، وما مدى إسهام هذه الممارسات في تأسيس رؤية شمولية للمعرفة في الفكر العربي القديم؟

ولتفكيك هذه الإشكالية، تطرح الدراسة مجموعة من الأسئلة الفرعية:

1. ما هي الأسس الفكرية والمنهجية التي اعتمدها العلماء العرب والمسلمون في تجاوز الحدود التقليدية بين العلوم؟
2. كيف انعكس التداخل المعرفي في أعمال العلماء العرب البارزين مثل الجاحظ، ابن خلدون، الخوارزمي، وابن الهيثم؟
3. كيف أسهم التكامل المعرفي في التراث العربي في تطوير رؤية شمولية للعلوم والمعارف؟

وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الإسهامات الفريدة للتراث العربي الإسلامي في مجال التكامل المعرفي، وإبراز أهمية هذا الإرث في فهم وتطوير الدراسات البينية المعاصرة. كما تسعى إلى استكشاف الصلات بين الممارسات التاريخية

والمفاهيم الحديثة للدراسات البينية، مما يعزز من أهمية البحث وارتباطه بالسياق المعاصر، ويفتح آفاقًا جديدة لفهم العلاقة بين الماضي والحاضر في مجال المعرفة والبحث العلمي.

1- البينية الدلالة والمفهوم بين العرب والغرب:

في مفهوم البين يقول ابن منظور في معاني اللفظة: "البين في كلام العرب جاء على وجهين: يكون البين الفرقة، ويكون الوصل، بان يبين بينا وبينونة، وهو من الأضداد، وشاهد البين الوصل قول الشاعر :

قد فرق الواشين بيني وبينها فقرت بذاك الوصل عيني وعينها

وقول قيس بن ذريح: :

لعمرك لولا البين لا يقطع الهوى ولولا الهوى ما حن للبين آلف

فالبين هنا الوصل" (ابن منظور، 2003، صفحة 196)

يكشف هذا التعريف اللغوي للفظة "البين" عن ثراء اللغة العربية وقدرتها على احتواء المعاني المتضادة في اللفظة الواحدة. فالبين، كما يوضح ابن منظور، يحمل معنيين متناقضين: الفرقة والوصل، وهذه الثنائية في المعنى تعكس عمق الفكر اللغوي العربي وقدرته على التعبير عن تعقيدات العلاقات والمفاهيم.

وفي السياق الشعري الذي استشهد به ابن منظور، يمكن الوقوف على براعة استخدام الشعراء لهذه اللفظة بمعنى الوصل، مما يبرز المرونة في استخدام اللغة وقدرتها على التعبير عن المشاعر المعقدة؛ فالشاعر الأول يصف كيف أن محاولات الواشين للتفريق بينه وبين محبوبته أدت في الواقع إلى تقوية الوصل بينهما، بينما يستخدم قيس بن ذريح "البين" بمعنى الوصل في سياق يتحدث فيه عن قوة الحب وتأثيره، ولم ترد إشارة إلى المعنى الحديث للبينية وذلك لأنه علم وافد جديد على الدرس النقدي العربي، ويعتبر من المصطلحات الناشئة عند الحضارة العربية. وهنا نشير إلى التطور الدلالي للمصطلحات عبر الزمن. فبينما كان المعنى التقليدي للبين يركز على الفراق والوصل في السياقات الاجتماعية والعاطفية، فإن المفهوم الحديث للبينية يتجه نحو معنى مختلف تماماً في السياق الأكاديمي والبحثي. وهذا التحول في المعنى يعكس تطور الفكر العربي وانفتاحه على المفاهيم العالمية الجديدة في مجال البحث والدراسات الأكاديمية.

أما عند الغرب فقد عرف هذا المصطلح منذ منتصف القرن العشرين في الحضارة الغربية تحت مسمى (Interdisciplinary)، وهذه الكلمة مركب اسمي متكون من مقطعين (Inter) بمعنى "بين" و (Discipline)وتعني حقلا معينا من الدراس.، ولعل البحث في الأصل اللغوي للمصطلح في اللغة الإنجليزية يساعد في فهم جذور المفهوم وتطوره. فالتركيب اللغوي "Interdisciplinary" يشير بوضوح إلى فكرة التداخل والتفاعل بين مجالات الدراسة المختلفة. وهذا المفهوم الذي نشأ في السياق الغربي، يعكس تحولاً في الفكر الأكاديمي نحو نهج أكثر تكاملاً وشمولية في البحث والدراسة.

أما في تعريف أهل الاختصاص "هي عملية الجمع بين كفاءات أو أفكار آتية من ميادين علمية أو فكرية مختلفة لتحقيق هدف مشترك؛ وذلك بالتوسل بمقاربات مختلفة لمواجهة مسألة بذاتها أو مشكل بذاته" (كاظم، 2013، صفحة 80)، يوضح هذا التعريف الاصطلاحي الجوهر العملي للبينية في السياق الأكاديمي والبحثي المعاصر. فهو يؤكد على فكرة التكامل والتعاون بين مختلف التخصصات لتحقيق هدف مشترك. وبذلك يتجاوز هذا النهج الحدود التقليدية بين العلوم، ويسعى إلى استثمار التنوع في الخبرات والمنهجيات لمعالجة القضايا المعقدة بشكل أكثر شمولية وفعالية.

وعلى هذه الأسس المفاهيمية تقوم البينية على مبدأ البحث "في كيفية تأثير العلوم ببعضها، ولا تناقشها بطريقة موسوعية كما كان الحال قديما ولا بطريقة تخصصية كما آل إليه الأمر من قبل" (بنخود، صفحة 5). يسلط هذا التعريف الضوء على جوهر المنهج البيني، الذي يتجاوز النهج الموسوعي التقليدي الذي كان سائداً في العصور القديمة، حيث كان العلماء يجمعون المعارف من مختلف المجالات دون بالضرورة دراسة العلاقات العميقة بينها. كما أنه يتخطى حدود التخصص الضيق الذي هيمن على البحث العلمي في العصر الحديث، حيث أصبح كل تخصص منعزلاً في مجاله الخاص. وبدلاً من ذلك، يركز المنهج البيني على دراسة التفا علات والتأثيرات المتبادلة بين مختلف فروع المعرفة. وبذ يفتح لك هذا النهج آفاقاً جديدة للبحث، إذ يسمح بدراسة الظواهر من زوايا متعددة، مستفيداً من مناهج وأدوات مختلف التخصصات. مما يوفر فهماً أكثر شمولية وعمقاً للمشكلة وحلولها المحتملة. وقد عرفت هذه الممارسة تحت مسميين شائعين:

- **الأول هو الدراسات البينية**؛ التي تحيل على "الوقائع المرجعية والترابطات الداخلية المتشكلة داخل تخصص واحد أو حقل معرفي ما، وهذا ما يسمح بإقامة علاقة بين عناصر التخصص وبين تخصصات مختلفة ومتمايزة" (ملكاوي، 2011، الصفحات 39-50). يبرز هذا التعريف أهمية فهم العلاقات الداخلية في كل تخصص، وكيف يمكن لهذا الفهم أن يمتد لبناء جسور مع تخصصات أخرى .فعلى سبيل المثال، قد تكشف دراسة بينية في الأدب عن علاقات عميقة مع علم النفس، مما يثري فهمنا للنصوص الأدبية ويفتح مجالات جديدة للتحليل.

-**أما المسمى الثاني فهو البحث متعدد التخصصات**؛ ويعني حرفيا "البحث بين التخصصات، في إشارة إلى تفاعل التخصصات مع بعضها البعض .(Keestra & Menken) " ولعل هذا التعريف يؤكد على الطبيعة التفاعلية للبحث البيني، حيث لا تقتصر العملية على مجرد جمع معلومات من تخصصات مختلفة، بل تتعداها إلى خلق مساحات جديدة للبحث تنشأ من تقاطع وتفاعل هذه التخصصات.

إن هذا النهج البيني، سواء في شكل الدراسات البينية أو البحث متعدد التخصصات، يمثل تحولاً جوهرياً في طريقة تناول للمعرفة والبحث العلمي .فهو يتجاوز النظرة الاختزالية التي تفصل بين التخصصات، ويؤسس لفهم أكثر شمولية وعمقاً للظواهر المدروسة. هذا النهج يعكس إدراكاً متزايداً لتعقيد الواقع وترابط مكوناته، حيث لم تعد الحدود الصارمة بين التخصصات قادرة على تقديم إجابات كافية للتحديات المعرفية والعملية التي نواجهها في العصر الحديث.

2- مسارات تشكل الوعي البيني في التراث العربي:

في قلب الحضارة العربية الإسلامية، نبتت بذور الوعي البيني كممارسة معرفية فريدة، متجاوزة حدود التخصصات التقليدية إلى فضاء رحب من التكامل المعرفي. هذا الوعي، الذي لم يكن وليد الصدفة، بل نتاج مسارات متعددة ومتداخلة، عكس عمق الفكر العربي الإسلامي وشموليته في تناول المعرفة. لقد شكلت هذه المسارات نسيجاً معرفياً متكاملاً، أسهم في بناء صرح حضاري شامخ، ما زال يلهم الباحثين والمفكرين حتى يومنا هذا.

في طليعة هذه المسارات، برزت فرادة القرآن الكريم وجماليته وإعجازه كعامل محوري في تشكيل الوعي البيني. فقد مثل نزول القرآن الكريم نقطة تحول جذرية في الفكر العربي والإسلامي، إذ قدم نموذجاً فريداً لنص يجمع بين العلوم الدينية واللغوية والتاريخية والكونية في نسيج متكامل. هذا النص الإلهي الجامع شكل تحدياً فكرياً وعلمياً غير مسبوق للعلماء في ذلك الزمان، دافعاً إياهم إلى تجاوز حدود تخصصاتهم الضيقة والانفتاح على آفاق معرفية أوسع.

لقد وجد العلماء أنفسهم أمام نص يتحدى التصنيفات التقليدية للمعرفة، مما استدعى منهم تبني نهج شمولي في دراسته. فلم يعد كافياً النظر إلى القرآن من زاوية لغوية أو دينية فحسب، بل أصبح من الضروري الإحاطة بمختلف جوانبه - اللغوية والبلاغية والتاريخية والعلمية - للكشف عن مكامن إعجازه وسر تأثيره العميق في المتلقي. هذا النهج الشمولي في دراسة القرآن أسس لتقليد معرفي جديد، يتجاوز الحدود الصارمة بين التخصصات، ويسعى إلى فهم أعمق وأكثر تكاملاً للظواهر المدروسة.

وسرعان ما امتد تأثير هذا النهج البيني، الذي تبلور في دراسة القرآن، ليشمل مجالات معرفية متعددة، محدثاً ثورة في طريقة تناول العلوم والمعارف.

- **في مجال الدراسات اللغوية والأدبية**، نجد علماء فذّة مثل سيبويه يقدمون نموذجاً رائداً في دراسة اللغة، جامعين بين النحو والصرف والدلالة والصوتيات في إطار متكامل. لم يكن هذا الدمج مجرد تجميع لعلوم منفصلة، بل كان محاولة عميقة لفهم اللغة كنظام حي ومتكامل، تتفاعل فيه المستويات اللغوية المختلفة لتشكل معنى شاملاً وثرياً.. والجاحظ، بموسوعيته الفذة، قدم نموذجاً آخر للعالم متعدد التخصصات، متجاوزاً الحدود التقليدية بين الأدب وعلم الكلام وعلم الحيوان. وفي كتاباته نجد مزيجاً فريداً من المعارف المتنوعة، تتداخل فيه الملاحظات الأدبية مع التأملات الفلسفية والملاحظات العلمية الدقيقة. وهذا المزج بين مجالات معرفية متباينة ظاهرياً لم يكن مجرد استعراض منه للمعرفة، بل كان تعبيراً عن فهم عميق للترابط الجوهري بين مختلف جوانب المعرفة والحياة.
- **في ميدان النقد الأدبي**، قدم علماء مثل قدامة بن جعفر وابن رشيق القيرواني إسهامات جوهرية، متجاوزين النظرة الأحادية للنص الأدبي. فقد جمعوا في نظراتهم النقدية بين الجوانب اللغوية والموسيقية والفلسفية للشعر، مؤسسين بذلك لنقد أدبي شامل ومتعمق. هذا النهج في النقد تجاوز التحليل السطحي للنصوص إلى فهم أعمق لطبيعة الإبداع الأدبي، معتبراً الشعر ظاهرة متعددة الأبعاد تتطلب رؤية شاملة لفهمها وتقييمها. لقد أدركوا أن الشعر، في جوهره، هو تعبير عن تجربة إنسانية معقدة، تتداخل فيها العناصر اللغوية والجمالية والفكرية، وبالتالي لا يمكن فهمه إلا من خلال مقاربة متعددة الأبعاد.
- **في مجال العلوم الطبيعية والرياضيات**، برز علماء فذّة مثل الخوارزمي، الذي جمع في أعماله بين الرياضيات والفلك والجغرافيا. هذا الجمع بين العلوم لم يكن مجرد تنوع في الاهتمامات العلمية، بل كان تعبيراً عن رؤية متكاملة للكون والطبيعة. فالرياضيات، في نظر الخوارزمي وأمثاله، لم تكن مجرد علم مجرد منفصل عن الواقع، بل كانت أداة قوية لفهم حركة الأجرام السماوية وتفسير الظواهر الجغرافية. هذا النهج البيني في العلوم الطبيعية أسهم في تحقيق اكتشافات علمية رائدة، وأسس لفهم أعمق للعلاقات بين الظواهر الطبيعية المختلفة.
- **في فضاء الفلسفة**، قدم علماء مثل الفارابي وابن سينا إسهامات جوهرية، جامعين في نظرياتهم بين الفلسفة والطب والموسيقى والمنطق. هذا المزج بين مجالات فكرية متنوعة لم يكن مجرد تجميع للمعارف، بل كان تعبيراً عن فهم شامل ومتكامل للوجود الإنساني. فقد أدركوا أن الإنسان كائن معقد، تتداخل في تكوينه الجوانب الفكرية والجسدية والروحية، وبالتالي لا يمكن فهمه إلا من خلال مقاربة شاملة تأخذ في الاعتبار هذه الأبعاد المتعددة. هذا النهج الفلسفي الشامل أسهم في تطوير فهم أعمق للعلاقة بين الإنسان والكون، وبين الفرد والمجتمع.

إن هذه الممارسة للدراسات البينية في التراث العربي الإسلامي، وإن لم تكن مسماة بهذا الاسم في ذلك الوقت، كانت تعبيراً عميقاً عن نظرة شمولية للمعرفة. فقد اعتبر العلماء العرب والمسلمون العلوم المختلفة وحدة متكاملة، وليست مجالات منفصلة أو متنافرة. فأدى هذا النهج إلى إثراء المعرفة وتعميقها، وأسهم في تطوير العلوم المختلفة بشكل متناغم ومتكامل،

مؤسساً لنهضة علمية وفكرية شاملة. ويمكن القول؛ إن النهج البيني في التراث العربي الإسلامي كان سابقاً لعصره بقرون عديدة؛ فهو يمثل أساساً متيناً ومصدر إلهام للدراسات البينية الحديثة التي ظهرت في القرن العشرين. لقد كان الفكر العربي الإسلامي، في جوهره يتعامل مع المعرفة كوحدة متكاملة، مدركاً الترابط العميق بين مختلف مجالات العلم والحياة. هذه الرؤية الشاملة والمتكاملة للمعرفة تقدم نموذجاً ملهماً في عصرنا الحالي، حيث تتزايد الحاجة إلى تجاوز التخصصات الضيقة والنظر إلى القضايا المعقدة من زوايا متعددة. ويمكن أن نستعرض بعض أعمال القدامى التي تجسدت فيها ملامح الدراسات البينية في الجدول التالي:

اسم العالم/ وفاته	اسم الكتاب	ملامح البينية
أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (207 هـ)	معاني القرآن (الفراء، 1955)	الجمع بين علوم اللغة والأدب والفقه والتفسير
محمد بن موسى الخوارزمي (232 هـ)	كتاب الجبر والمقابلة (الخوارزمي، الجبر والمقابلة، 1937)	الجمع بين الجبر والهندسة
أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (255 هـ)	كتاب الحيوان (الجاحظ، 1966)	الجمع بين الأدب وعلم الحيوان والفلسفة
أبو عبد الله محمد بن جابر البتاني (288 هـ)	زيج الصابئ (الصابئ البتاني، 2005)	الربط بين الرياضيات والفلك والجغرافيا
أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (313 هـ)	أخلاق الطبيب (الرازي، 1977)	الربط بين الطب والفلسفة والأخلاق
أبو نصر الفارابي (339 هـ)	إحصاء العلوم (الفارابي، 1931)	تصنيف العلوم وبيان العلاقات بينها
أبو علي الحسين بن علي بن سينا (428 هـ)	القانون في الطب (بن سينا)	الربط بين الطب والفلسفة والمنطق
أبو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم (430 هـ)	كتاب المناظر في الإبصار على الاستقامة (بن الهيثم، 1983)	الجمع بين الفيزياء والرياضيات والبصريات
أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (440 هـ)	القانون المسعودي (البيروني، 1954)	الربط بين علم الفلك والرياضيات والجغرافيا
أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (505 هـ)	إحياء علوم الدين (الغزالي، 2005)	الجمع بين الفقه والفلسفة وعلم الكلام
أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي (595 هـ)	الكليات في الطب (الأندلسي، 1939)	الربط بين الطب والفلسفة والعلوم الطبيعية
شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (626 هـ)	معجم البلدان (الحموي)	الجمع بين الجغرافيا والتاريخ والأدب
ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي المعروف بابن البيطار (646 هـ)	الجامع لمفردات الأدوية والأغذية (ابن البيطار)	الربط بين علم النبات والصيدلة والطب
ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (808 هـ)	المقدمة (بن خلدون، 1958)	الجمع بين التاريخ وعلم الاجتماع والاقتصاد

إن استقراء الجدول المقدم يكشف عن ثراء وعمق الممارسات البينية في التراث العربي الإسلامي، مقدماً صورة شاملة ومتكاملة للنهج المعرفي الذي اتبعه العلماء العرب والمسلمون عبر قرون من الإبداع والابتكار. ويقودنا إلى جملة من الملاحظات الجوهرية التي تستحق التأمل والتحليل المعمق:

1-التنوع الزمني:

يغطي الجدول فترة زمنية ممتدة من القرن الثالث الهجري إلى القرن التاسع الهجري، وهي فترة تمثل ذروة الازدهار العلمي والفكري في الحضارة العربية الإسلامية. هذا الامتداد الزمني يكشف عن استمرارية النهج البيني وترسخه كأسلوب معرفي أصيل في الفكر العربي الإسلامي. لم يكن هذا النهج مجرد ظاهرة عابرة أو محصورة في فترة زمنية محددة، بل كان تقليداً راسخاً استمر لقرون، متطوراً ومتكيفاً مع التغيرات العلمية والفكرية.

كما يعكس هذا الاستمرار قدرة النهج البيني على التجدد والتكيف مع التطورات العلمية المتلاحقة. فمن الفراء في القرن الثالث الهجري إلى ابن خلدون في القرن التاسع، نرى تطوراً في أساليب الربط بين العلوم وتعمقاً في فهم العلاقات بينها. وتجدر الإشارة إلى أن هذا التطور لم يكن خطياً بسيطاً، بل كان عملية معقدة من التراكم المعرفي والتفاعل بين الأفكار عبر الأجيال.

2-تعدد المجالات العلمية:

يظهر الجدول تداخلاً مذهلاً بين مجالات علمية متنوعة، شاملة العلوم الطبيعية والإنسانية والدينية والتطبيقية. يعكس هذا التنوع نظرة شمولية للمعرفة، حيث لم ينظر العلماء إلى العلوم كمجالات منفصلة، بل كجوانب مختلفة لحقيقة واحدة متكاملة.

- في العلوم الطبيعية مثلا نرى أعمالاً تجمع بين الطب والفيزياء وعلم الحيوان، كأعمال ابن سينا والرازي وابن الهيثم، وهذا الجمع لم يكن مجرد تجميع للمعلومات، بل كان محاولة لفهم الطبيعة بشكل شامل، مدركين الترابط العميق بين مختلف ظواهرها.
- وفي العلوم الإنسانية، نجد تداخلاً بين الأدب والتاريخ والفلسفة، كما في أعمال الجاحظ وابن خلدون. مما يعكس فهماً عميقاً للطبيعة الإنسانية وتعقيداتها، حيث لم يُنظر إلى الإنسان كمجرد كائن بيولوجي أو اجتماعي، بل ككيان معقد تتفاعل فيه الأبعاد الروحية والفكرية والمادية.
- في العلوم الدينية، مثل الفقه والتفسير، لم تكن منعزلة عن باقي العلوم، بل كانت في حوار مستمر معها. نرى ذلك جلياً في أعمال الغزالي التي جمعت بين الفقه والفلسفة، مما أدى إلى إثراء كلا المجالين وتعميق فهمنا للعلاقة بين الدين والفكر الإنساني.
- في العلوم التطبيقية، كالرياضيات والفلك والجغرافيا، كانت متداخلة بشكل وثيق، كما نرى في أعمال الخوارزمي والبيروني. وأدى هذا التداخل إلى تطورات مهمة في كل من هذه المجالات، مظهراً كيف يمكن للمعرفة النظرية أن تثري التطبيقات العملية والعكس.

3-أنماط الدراسات البينية:

يمكن تعيين عدة أنماط للدراسات البينية في هذا الجدول، كل منها يعكس نهجاً فريداً في الربط بين العلوم:

1- **الجمع بين العلوم النظرية والتطبيقية:** نرى هذا النمط بوضوح في أعمال ابن الهيثم في البصريات، حيث جمع بين النظريات الفيزيائية والتطبيقات العملية .مما أفضى إلى تطورات مهمة في فهم طبيعة الضوء والرؤية، مؤسساً لعلم البصريات الحديث.

2- **الربط بين العلوم الطبيعية والإنسانية:** يتجلى هذا في أعمال ابن سينا التي جمعت بين الطب والفلسفة. وهذا الربط قدم فهماً أعمق للإنسان، معتبراً إياه كياناً متكاملاً جسدياً وروحياً وفكرياً.

3- **دمج العلوم الدينية مع العلوم الدنيوية:** نرى هذا في أعمال الغزالي التي جمعت بين الفقه والفلسفة. وقد أسهم هذا الدمج في إثراء الفكر الديني بالأبعاد الفلسفية، وإضفاء عمق روحي على الفلسفة.

4-تطور المنهجية العلمية:

يمكن الوقوف على تجليات تطور المنهجية العلمية عبر الزمن:

1. **التصنيف والفهرسة:** نرى هذا في عمل الفارابي "إحصاء العلوم"، الذي قدم تصنيفاً شاملاً للعلوم، مؤسساً لفهم منظم للمعرفة البشرية.
2. **التجريب والملاحظة:** يتجلى هذا في أعمال ابن الهيثم في البصريات، حيث اعتمد على التجارب الدقيقة والملاحظات المنهجية.
3. **التحليل الاجتماعي**: نرى هذا بوضوح في "المقدمة" لابن خلدون، التي أسست لعلم الاجتماع الحديث من خلال التحليل المنهجي للظواهر الاجتماعية والتاريخية.

5-التكامل المعرفي:

استفاد العلماء من معارفهم المتنوعة لإثراء مجالات تخصصهم .مثال ذلك استخدام البيروني للرياضيات في دراسة الفلك والجغرافيا. والأكيد أن هذا التكامل لم يكن مجرد إضافة معلومات من مجال إلى آخر، بل كان عملية إبداعية أدت إلى رؤى جديدة وفهم أعمق للظواهر المدروسة.

6-الموسوعية:

كثير من العلماء كانوا موسوعيين في معارفهم. فابن سينا مثلا؛ جمع بين الطب والفلسفة والمنطق. وموسوعيته لم تكن مجرد تجميع للمعارف، بل كانت نهجاً فكرياً تبناه في سعيه إلى فهم شامل للوجود والمعرفة.

7-التأثير المتبادل بين العلوم:

أثرت العلوم في بعضها البعض بشكا واضح وإيجابي. مثال ذلك تأثير الفلسفة على الطب عند الرازي وابن سينا. وهذا التأثير المتبادل أدى إلى إثراء كل من المجالين وفتح آفاق جديدة للبحث والتفكير.

8-الابتكار من خلال التداخل:

أدى التداخل بين العلوم إلى ابتكارات جديدة. إسهامات الخوارزمي في الجبر، التي نتجت من الجمع بين الرياضيات والهندسة، هي مثال واضح على ذلك. هذا الابتكار لم يكن مجرد إضافة لمعرفة قائمة، بل كان خلقاً لمجالات معرفية جديدة تماماً.

9-الشمولية في المعالجة:

عالج العلماء المواضيع بشكل شامل من زوايا متعددة. ومعالجة ابن خلدون للتاريخ من منظور اجتماعي واقتصادي هي مثال بارز على هذا النهج .هذه الشمولية، وقد أدت إلى فهم أعمق وأكثر تعقيداً للظواهر المدروسة.

10-التطبيق العملي للمعرفة :

يظهر الجدول اهتمام العلماء بالتطبيق العملي للمعرفة النظرية. ربط ابن البيطار بين علم النبات والصيدلة والطب هو مثال على هذا النهج. هذا الاهتمام بالتطبيق العملي جعل المعرفة أداة فعالة لتحسين حياة الناس وحل المشكلات الواقعية.

وبناء على كل ذلك قدم هذا الاستقراء صورة غنية ومتعددة الأبعاد للنهج البيني في التراث العربي الإسلامي، هذا النهج الذي لم يكن مجرد أسلوب أكاديمي، بل كان رؤية شاملة للمعرفة والوجود. فقد عكس ي فهماً عميقاً لترابط الظواهر الطبيعية والإنسانية، ويؤكد على ضرورة النظر إلى المعرفة كوحدة متكاملة. وبواسطته تمكن التراث البيني من تقديم دروس

قيمة لل علم المعاصر. ففي عصر التخصص الدقيق، حيث تتزايد المعرفة في مجالات محددة بسرعة هائلة، تبرز الحاجة إلى نظرة شاملة تربط بين هذه التخصصات وتستخلص منها فهماً أعمق للواقع. النهج البيني في التراث العربي الإسلامي يقدم نموذجاً لكيفية تحقيق هذا التوازن بين العمق في التخصص والشمولية في الرؤية.

3- مؤشرات الممارسة البينية في التراث العربي القديم:

تعد الدراسات البينية في التراث العربي القديم نموذجًا فريدًا للتكامل المعرفي والتفاعل بين مختلف العلوم والمعارف. هذا النموذج، الذي تجلى في أعمال العلماء والمفكرين العرب والمسلمين على مدى قرون، يمثل إرثًا فكريًا وعلميًا غنيًا يستحق الدراسة والتأمل في عصرنا الحاضر. فعلى الرغم من أن مصطلح "الدراسات البينية" لم يكن متداولًا بشكله الحالي في الحضارة العربية الإسلامية، إلا أن جوهر هذا المفهوم كان حاضرًا بقوة في النتاج الفكري والعلمي للعلماء العرب والمسلمين.

إن هذا الحضور القوي للنهج البيني في التراث العربي الإسلامي لم يكن مجرد صدفة أو نتيجة عرضية، بل كان انعكاسًا لرؤية معرفية عميقة ومتكاملة. فقد أدرك العلماء العرب والمسلمون، منذ فجر الحضارة الإسلامية، أهمية التكامل بين مختلف فروع المعرفة لفهم أعمق وأشمل للكون والإنسان والمجتمع. هذا الإدراك دفعهم إلى ممارسة ما يمكن أن نسميه اليوم بالدراسات البينية بشكل عملي وفعّال، وإن لم يطلقوا عليها هذا المصطلح تحديدًا، و تأصيل هذا النهج في طبيعة الحضارة العربية الإسلامية يعكس سمات أساسية من سمات هذه الحضارة،

- **الشمولية المعرفية** :التي تشير إلى النظرة الكلية والمتكاملة للمعرفة التي تميز بها العلماء والمفكرون العرب في العصور الإسلامية الذهبية. علما أنها -هذه النظرة- لم تكن مجرد توجه نظري، بل كانت منهجًا عمليًا في البحث والدراسة، انعكس في أعمالهم ومؤلفاتهم المتنوعة.

تتجلى هذه الشمولية المعرفية في سعي العلماء العرب والمسلمين الدؤوب لفهم العالم من خلال دمج مختلف فروع المعرفة والعلوم بوعي عميق مما جعل هذا السعي يتجاوز كونه تجميع للمعلومات من مصادر متنوعة، بل كان محاولة جادة لبناء فهم متكامل ومترابط للظواهر الطبيعية والإنسانية. فقد أدركوا أن الحقيقة في جوهرها واحدة، وأن الطريق إلى فهمها يتطلب النظر إليها من زوايا متعددة ومن خلال عدسات مختلف العلوم والمعارف.

- **تعدد التخصصات:** هذا النهج البيني في التراث العربي الإسلامي لم يكن مقتصرًا على مجال معرفي واحد، بل امتد ليشمل مختلف مجالات العلم والمعرفة. فنجده في العلوم الطبيعية، حيث جمع العلماء بين الفيزياء والرياضيات والفلك، كما نراه في العلوم الإنسانية، حيث تداخلت دراسات اللغة والأدب مع الفلسفة والتاريخ .كما برز بشكل جلي في العلوم الدينية، حيث تفاعلت دراسات القرآن والحديث مع علوم اللغة والمنطق والفلسفة.

إن دراسة مؤشرات الممارسة البينية في التراث العربي القديم تكشف لنا عن عمق وأصالة الفكر العربي الإسلامي في تناول المعرفة بشكل شمولي ومتكامل .هذه المؤشرات لا تقتصر على مجرد وجود أعمال تجمع بين تخصصات متعددة، بل تمتد لتشمل منهجية فكرية متكاملة في التعامل مع المعرفة والبحث العلم، من هذه المؤشرات نجد:

- **التكامل بين النقل والعقل في الدراسات الدينية والفلسفية**، سعى العلماء المسلمون إلى الجمع بين النصوص الدينية والتفكير العقلي في فهم الحقائق الإلهية والكونية.

- **الربط بين النظرية والتطبيق في العلوم الطبيعية والرياضية**، لم يكتف العلماء بالتنظير المجرد، بل سعوا دائمًا إلى ربط نظرياتهم بالواقع العملي والتطبيقي.

- **التداخل بين العلوم اللغوية والعلوم الأخرى**، لعبت الدراسات اللغوية دورًا محوريًا في فهم وتفسير النصوص الدينية والعلمية على حد سواء. كما نجد مؤشرًا قويًا في الاهتمام بالترجمة ونقل المعارف من الحضارات الأخرى، مما أدى إلى إثراء الفكر العربي الإسلامي وتفاعله مع المعارف العالمية.

وللإبانة عن هذا الوعي ومؤشراته تستعرض بعض النماذج على النحو التالي:

3-1-البينية في تصنيف العلوم عند ابن خلدون:

أشار ابن خلدون إلى مسألة الجمع بين المعارف النقلية (الدينية) والعقلية(العلمية والفلسفية) في قوله: "**اعلم أنّ العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين: علوم مقصودة بالذّات كالشّرعيّات من التّفسير والحديث والفقه وعلم الكلام، وكالطّبيعيّات والإلهيّات من الفلسفة، وعلوم هي وسيلة آليّة لهذه العلوم كالعربيّة والحساب وغيرهما للشّرعيّات، وكالمنطق للفلسفة** (بن خلدون، 1958، صفحة 1114)"، يقدم ابن خلدون في هذا النص رؤية متكاملة وبينية لتصنيف العلوم، مبرزًا الترابط العميق بين مختلف فروع المعرفة؛ فهو يقسم العلوم إلى صنفين رئيسيين: العلوم المقصودة لذاتها والعلوم الآلية أو الوسيلية. في الصنف الأول، يجمع ابن خلدون بين العلوم النقلية (الشرعية) مثل التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام، والعلوم العقلية (الفلسفية والطبيعية) كالطبيعيات والإلهيات، ويعكس هذا الجمع نظرة شمولية للمعرفة، حيث لا يرى فصلًا جوهريًا بين العلوم الدينية والعلوم العقلية، بل يعتبرهما متكاملتين في بناء المعرفة الإنسانية. أما الصنف الثاني، فيشمل العلوم الآلية التي تخدم العلوم الأساسية، مثل علوم اللغة العربية والحساب التي تعد أدوات ضرورية لفهم وتطوير العلوم الشرعية، والمنطق الذي يعد أداة أساسية للفلسفة، وبناء على هذا التصنيف يبرز فهم ابن خلدون العميق للترابط بين العلوم وأهمية التكامل المعرفي، حيث يرى أن إتقان العلوم الآلية ضروري لفهم وتطوير العلوم الأساسية، مما يؤسس لمنهج بيني في دراسة وفهم مختلف مجالات المعرفة. ويمكن الوقوف على مظاهر البينية في قوله على هذا النحو:

1. **التكامل بين العلوم المقصودة والعلوم الآلية**: تبرز البينية في هذا القول من خلال تصنيف ابن خلدون للعلوم وتقسيمها إلى فئتين متكاملتين: العلوم المقصودة بالذات والعلوم الآلية، هذا التصنيف يكشف عن فهم عميق للترابط بين مختلف مجالات المعرفة وكيفية تفاعلها، فالعلوم المقصودة بالذات؛ مثل العلوم الشرعية والفلسفية، وتمثل الغاية النهائية للدراسة، بينما العلوم الآلية؛ كاللغة العربية والمنطق، تعمل كأدوات ضرورية لفهم وتطوير العلوم الأساسية.
2. **التداخل بين العلوم الشرعية والعلوم اللغوية والرياضية**: هذا التداخل بين العلوم يظهر جلياً في الأمثلة التي يقدمها ابن خلدون؛ فهو يربط بين العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه مع العلوم اللغوية والحسابية، مشيراً إلى أن إتقان اللغة العربية والحساب ضروري لفهم وتفسير النصوص الدينية. كذلك، يربط الفلسفة بالمنطق، مؤكداً على أهمية المنطق كأداة للتفكير الفلسفي السليم.
3. **تجاوز الحدود التقليدية بين العلوم:** هذه الرؤية البينية تتجاوز الحدود التقليدية بين العلوم، وتؤسس لفهم متكامل للمعرفة؛ فهي تدعو إلى النظر إلى العلوم كمنظومة متكاملة، حيث تتفاعل العلوم الأساسية مع العلوم المساعدة لتشكيل فهم شامل للظواهر المدروسة. وهذا النهج يسبق بقرون المفاهيم الحديثة للدراسات البينية، ويعكس عمق الفكر الإسلامي في فهم تكامل المعرفة.

4. أهمية التعليم الشامل والتعاون بين التخصصات: إن هذا التصور يؤكد على أهمية التعليم الشامل الذي لا يقتصر على تخصص واحد، بل يشمل مجموعة واسعة من العلوم المترابطة.، كما يشير ضمنياً إلى ضرورة التعاون بين المتخصصين في مختلف المجالات لتحقيق فهم أعمق وأشمل للعلوم والظواهر المدروسة.

وبذلك يمكننا اعتبار رؤية ابن خلدون نموذجاً مبكراً للتفكير البيني في العلوم، ومرآة تعكس عمق الفكر الإسلامي في فهم العلاقات المتشابكة بين مختلف فروع المعرفة، مما يجعلها ذات صلة وثيقة بالمناهج العلمية والتربوية المعاصرة التي تؤكد على أهمية التكامل المعرفي والدراسات البينية.

3-2- البينية في رؤية ابن رشيق للشعر والشاعر:

يقول ابن رشيق: "**والشاعر مأخوذ بكل علم، مطلوب بكل مكرمة؛ لاتساع الشعر واحتماله كل ما حمل: من نحو، ولغة، وفقه، وخبر، وحساب، وفريضة، واحتياج أكثر هذه العلوم إلى شهادته، وهو مكتف بذاته، مستغن عما سواه؛ ولأنه قيد للأخبار، وتجديد للآثار. وليأخذ نفسه بحفظ الشعر والخبر، ومعرفة النسب، و أيام العرب؛ ليستعمل بعض ذلك فيما يريده من ذكر الآثار، وضرب الأمثال، وليعلق بنفسه بعض أنفاسهم ويقوى بقوة طباعهم، فقد وجدنا الشاعر من المطبوعين المتقدمين يفضل أصحابه برواية الشعر، ومعرفة الأخبار، والتلمذة بمن فوقه من الشعراء**" (الأزدي، 1981). يقدم ابن رشيق في هذا النص رؤية بينية عميقة لمفهوم الشعر والشاعر، مؤكدًا على الطبيعة الموسوعية للشعر والدور المتعدد الأبعاد للشاعر، فهو يرى أن الشاعر مطالب بالإلمام بمجموعة واسعة من العلوم والمعارف، بما في ذلك النحو واللغة والفقه والتاريخ والحساب والفرائض. وهذا التنوع المعرفي ليس ترفًا فكريًا، بل ضرورة إبداعية وثقافية، إذ يعتبر ابن رشيق أن سعة الشعر وقدرته على استيعاب مختلف أنواع المعرفة تجعل من الشاعر موسوعة متحركة للثقافة .كما يشير إلى الدور المحوري للشعر في حفظ التراث وتجديده، مما يجعل الشاعر مؤرخًا وناقلًا للمعرفة في آن واحد. ويؤكد ابن رشيق على أهمية حفظ الشعر والأخبار ومعرفة الأنساب وأيام العرب، ليس فقط كمادة للإبداع، بل أيضًا كوسيلة لتقوية الملكة الشعرية واكتساب "أنفاس" الشعراء السابقين. وهذه الرؤية الرصينة تؤسس لمفهوم بيني للشعر والشاعر؛ حيث يصبح الشعر ملتقى للعلوم والمعارف، والشاعر جسرًا بين مختلف مجالات المعرفة، مما يعكس فهمًا عميقًا للتكامل المعرفي في التراث العربي.

وعليه يعكس هذا القول رؤية ابن رشيق العميقة للبينية في الثقافة العربية الإسلامية، خاصة فيما يتعلق بمكانة الشاعر وعلاقة الشعر بالعلوم الأخرى. ويمكن تحليل مؤشرات البينية في هذا النص كما يلي:

1. الشاعر كموسوعة معرفية متكاملة: يعكس هذا النص رؤية شمولية لدور الشاعر ومكانة الشعر في المنظومة المعرفية العربية الإسلامية. فالشاعر وفقاً لهذا المفهوم، ليس مجرد منتج للنصوص الأدبية، بل هو موسوعة معرفية متحركة تجمع بين مختلف العلوم والمعارف. هذه الرؤية تؤسس لفهم تكاملي للمعرفة، حيث يصبح الشعر نقطة التقاء لمختلف العلوم والفنون.

2. التداخل المعرفي في تكوين الشاعر: يظهر التداخل المعرفي جلياً في تعداد العلوم التي يُطالَب الشاعر بالإلمام بها: النحو، اللغة، الفقه، الأخبار (التاريخ)، الحساب، والفرائض (علم المواريث). ويعكس هذا التنوع نظرة شمولية للثقافة، حيث تتكامل العلوم اللغوية مع العلوم الشرعية والرياضية والتاريخية لتشكل الخلفية المعرفية للشاعر.

3. العلاقة التبادلية بين الشعر والعلوم الأخرى: يشير النص إلى العلاقة التبادلية بين الشعر والعلوم الأخرى. فمن جهة، يحتاج الشعر إلى هذه العلوم لإثراء محتواه وتعميق معانيه، ومن جهة أخرى، تحتاج هذه العلوم إلى الشعر كشاهد وموثق لها، مما يؤسس لفهم بيني عميق للعلاقة بين مختلف فروع المعرفة.

4. أهمية المعرفة التاريخية والثقافية: يؤكد النص على أهمية المعرفة التاريخية والثقافية للشاعر، من خلال الإشارة إلى ضرورة معرفته بالأنساب وأيام العرب، وهذا يربط الإبداع الشعري بالسياق الثقافي والتاريخي الأوسع، مما يعزز البعد البيني في فهم الشعر وإنتاجه.

5. الشعر كوسيط معرفي: بمعنى الإشارة إلى دور الشعر في "تقييد الأخبار وتجديد الآثار" يبرز وظيفته كوسيط معرفي يربط بين الماضي والحاضر، وبين مختلف مجالات المعرفة، وهذا يبرز الفهم العميق لدور الأدب في حفظ وتجديد التراث الثقافي والمعرفي للأمة.

6. التكامل بين الموهبة والتعلم: تظهر البينية في الإشارة إلى أهمية التلمذة والرواية في تكوين الشاعر؛ فالشاعر المتميز- وفقاً لهذا الفهم- هو من يجمع بين الموهبة الفطرية والمعرفة المكتسبة من خلال الرواية والتعلم من الشعراء السابقين. وهذا يؤسس لفهم تكاملي للإبداع الشعري يجمع بين الموهبة والتعلم.

وعليه يحمل هذا النص العديد من الإشارات المبكرة لما نعرفه اليوم بالبينية في الدراسات الأدبية والنقدية، يظهر فيه ابن رشيق وعيًا عميقًا بالتداخل بين العلوم والمعارف، وأهميته في الإبداع الشعري. كما يؤكد على الطبيعة التفاعلية للنص الأدبي مع النصوص والثقافات الأخرى، وهو ما يشكل جوهر مفهوم البينية في النقد المعاصر.

3-3-البينية في النقد الأدبي عند عبد الملك بن مروان:

تطالعنا كتب النقد العربي القديم بنماذج كثيرة لأحكام وآراء نقدية عبر مختلف العصور لم تكن المرجعية فيها واحدة بل كانت متعددة ومتكاملة، ويمكننا تحليل نموذج لها على سبيل المثال لا الحصر:

"قال عبد الملك لكثير: أنشدني بعض ما قلت في عزة، فأنشده حتى إذا بلغ:

هَمَمْتُ وَهَمّتْ ثُمَّ هَابَتْ وَهِبْتُهَا حَيَاءً وَمِثْلِي بِالحَيَاءِ حَقِيقُ (بن عبد ربه، 1953، صفحة 374)

فقال له عبد الملك: أما والله لولا بيت أنشدتنيه قبل هذا لحرمتك جائزتك، قال: لم يا أمير المؤمنين؟ قال: لأنك أشركتها معك في الهيبة ثم استأثرت بالحياء دونها، فقال: فأي بيت عفوت به يا أمير المؤمنين؟ قال: قولك:

دَعُونِي لاَ أُرِيدُ بِهَا سِوَاهَا دَعُونِي هَائِماً فِي مَنْ يَهِيمُ"

ولعلنا نرى في هذا النقد أثرا لبيئة النقد التشريعي أو بالأحرى نلمس ملامح المرجعية الدينية التي يتمتع بها الخليفة التي تؤسس "لنقد يدل على بصر بالشعر والنفس والمجتمع، بجانب حرصه على الالتزام الأخلاقي" (الصيفي، 1990، صفحة 22). ويوضح الدكتور إسماعيل الصيفي أن الوجهة التي قصد إليها عبد الملك هي وجهة دينية والمنطلق نفسي اجتماعي ثم يمضي محللا بيت الشاعر ليقف على سبب رفض الخليفة له فيقول: "أن الشاعر قد أحسن حين قال هممت وهمت فجعل نفسه أول من هم، وحين قال: هابت وهبتها، جعل (عزة) أول من هاب وهو تعبير يوافق نفسية الفتاة العربية والبيئة الاجتماعية التي ترعرعت في أحضانها" (الصيفي، 1990، صفحة 23). فالشطر الأول ذو تعبير فني جيد، وكان من الجدير بالشاعر أن يتم الشطر الثاني على الشاكلة نفسها، لكن نفاجئ بالعكس حين يستأثر نفسه بالحياء دونها وهنا فقد البيت صدقه الفني.

هذا المثال النقدي الذي قدمه عبد الملك بن مروان لشعر كثير عزة يحمل العديد من مؤشرات البينية في النقد الأدبي القديم يمكن الدلالة عليها على النحو التالي:

1. تكامل المعارف في النقد الأدبي: يتجلى التداخل المعرفي في نقد عبد الملك بن مروان من خلال مزجه بين مجالات متعددة في تحليله للبيت الشعري؛ فنرى تلاقي النقد الأدبي مع الأخلاق الاجتماعية، حيث يربط الخليفة بين جودة الشعر والقيم الأخلاقية. كما يظهر تأثير المرجعية الدينية في تقييمه للشعر، مما يعكس التداخل بين المعرفة الدينية والنقد الأدبي. هذا

المزج بين المجالات المختلفة يؤسس لنظرة شمولية للأدب تتجاوز الجوانب الفنية البحتة لتشمل الأبعاد الاجتماعية والأخلاقية والدينية.

2. التحليل متعدد الأبعاد للنص الأدبي: يتميز نقد عبد الملك بتبنيه منهجاً تحليلياً متعدد الأبعاد؛ فهو يجمع بين التحليل النفسي والاجتماعي للبيت الشعري، مما يسبق عصره في إدماج علم النفس وعلم الاجتماع مع النقد الأدبي. كما يتناول البنية اللغوية والدلالية للنص، مظهراً التكامل بين التحليل اللغوي والنقد الأدبي، وهذا النهج الشامل يمتد ليشمل المقارنة بين أجزاء النص والربط بين الصدق الفني والصدق الواقعي، مما يعكس نظرة متكاملة تجمع بين الجماليات الأدبية والواقعية الاجتماعية.

3. السياق الثقافي والتفاعل مع النص: يولي النقد اهتماماً كبيراً للسياق الثقافي والبيئي الذي نشأ فيه النص، مراعياً البيئة الثقافية والاجتماعية للمرأة العربية. هذا الوعي بأهمية السياق الثقافي في فهم وتقييم النص الأدبي يتكامل مع اهتمامه بالتفاعل بين النص والمتلقي، مما يسبق النظريات الحديثة التي تؤكد على دور القارئ في إنتاج المعنى. هذا البعد يعكس البينية بين الدراسات الثقافية ونظريات التلقي والنقد الأدبي.

4. تداخل السلطة والنقد: يبرز في هذا النموذج النقدي التداخل بين السلطة السياسية والنقد الأدبي، حيث يظهر دور الخليفة كناقد أدبي. هذا يعكس العلاقة المعقدة بين السلطة والأدب في ذلك العصر، ويشير إلى البعد السياسي والاجتماعي للنقد الأدبي ولعل .هذا التداخل يؤسس لفهم بيني يربط بين الدراسات السياسية والاجتماعية والنقد الأدبي.

وبذلك يقدم هذا النموذج النقدي صورة متقدمة للبينية في الفكر العربي الإسلامي، حيث يجمع بين مجالات معرفية متعددة في تحليل النص الأدبي. فهذا النهج الشمولي يسبق بقرون الدراسات البينية الحديثة، ويعكس عمق وثراء التراث النقدي العربي في فهم العلاقات المتشابكة بين مختلف فروع المعرفة.

الخاتمة:

إن البحث في موضوع **الدراسات البينية في التراث العربي** متشعب يحتاج إلى دراسة مستفيضة وعميقة، ولعلنا في هذه الورقة العلمية قد لامسنا جزء يسيرا منها. وتجدر الإشارة إلى أن أهمية العناية بموضوع البينية في التراث العربي لا تقتصر على حاجتنا الدائمة لفهم تاريخ العلوم العربية واكتشاف كوامن تفردها وأصالتها فحسب، بل تقدم نموذجًا مهمًا للباحثين المعاصرين في كيفية تجاوز الحدود التقليدية بين التخصصات. فهذا النهج الذي يجمع بين عمق التخصص وشمولية النظرة، يمكن أن يكون مصدرًا قيمًا للإلهام في مواجهة التحديات المعرفية والعلمية المعاصرة. أما عن نتائج هذه الورقة العلمية فلقد آثرنا تجميعها في جزأين هما:

1-خصائص الدراسات البينية في التراث العربي: وقفت الدراسة على أهم مميزات الدراسات البينية في التراث العربي وهي:

- ✓ **التكامل المعرفي**: كان العلماء العرب يدركون الترابط الوثيق بين مختلف فروع المعرفة، وهذا الفهم العميق للتكامل المعرفي أدى إلى إنتاج علمي متميز يتجاوز حدود التخصصات الضيقة.
- ✓ **الموسوعية**: اتسم كثير من العلماء العرب بالموسوعية في معارفهم؛ فنجد شخصيات مثل الفارابي وابن سينا والبيروني قد برعوا في علوم متعددة كالفلسفة والطب والفلك والرياضيات.
- ✓ **التفاعل بين النقل والعقل**: سعى العلماء العرب إلى الجمع بين العلوم النقلية (كالتفسير والحديث) والعلوم العقلية (كالفلسفة والمنطق)، مما أدى إلى إثراء كلا المجالين.

2-أهمية الدراسات البينية في التراث العربي:

- ✓ **إثراء المعرفة:** ساهم النهج البيني في إثراء المعرفة العربية الإسلامية وتطويرها. فمثلاً، أدى الجمع بين علم الفلك والرياضيات إلى تطورات مهمة في علم المثلثات.
- ✓ **حل المشكلات المعقدة:** مكّن النهج البيني العلماء من معالجة قضايا معقدة تتطلب نظرة شمولية. فنجد الغزالي يجمع بين الفلسفة وعلم الكلام والتصوف في معالجته للقضايا الفكرية.
- ✓ **الابتكار والإبداع:** أدى التفاعل بين العلوم إلى ابتكارات جديدة. فمثلاً، ساهم الجمع بين الطب والكيمياء في تطوير علم الصيدلة.
- ✓ **التوازن المعرفي:** ساعد النهج البيني على تحقيق توازن بين مختلف فروع المعرفة، مما أدى إلى نظرة أكثر شمولية للعلم والحياة.
- ✓ **التطبيق العملي للمعرفة:** ساهم الربط بين العلوم النظرية والتطبيقية في إيجاد حلول عملية للمشكلات اليومية، كما نرى في تطوير الآلات والأدوات الفلكية.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني. (1954). *القانون المسعودي* (الإصدار 1). حيدر أباد الركن، الهند: دائرة المعارف العثمانية.

2- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور. (2003). *لسان العرب* (المجلد 2). بيروت: دار صادر.

3- أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي. (1939). *الكليات في الطب*. المغرب: منشورات لجنة الأبحاث العربية الإسبانية، مطبعة العرائش.

4- أبو بكر محمد بن زكريا الرازي. (1977). *أخلاق الطبيب* (الإصدار 1). تحقيق: عبد اللطيف محمد العبد، القاهرة، مصر: مكتبة دار التراث.

5- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي. (2005). *إحياء علوم الدين* (الإصدار 1). بيروت، لبنان: دار ابن حزم.

6- أبو زكريا يحي بن زياد الفراء. (1955). *معاني القرآن* (الإصدار 1). تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، دار الكتب المصرية.

7- أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان الحراني الرقي الصابئ البتاني. (2005). *زيج الصابئ في حساب النجوم وفلك البروج ومواضع الكواكب وغيرها*. تحقيق: كارلو نالينو، جبيل، لبنان: دار بيبليون.

8- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. (1966). *الحيوان* (الإصدار 2). تحقيق: عبد السلام هارون، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

9- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي. (1981). *العمدة في محاسن الشعر وأدابه* (الإصدار 5، ج 1). دار الجيل.

10- أبو علي الحسين بن علي بن سينا. (بلا تاريخ). *القانون في الطب* (الإصدار 1). وضع الحواشي: محمد أمين الضناوي، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

11- أبو نصر الفارابي. (1931). *إحصاء العلوم*. تقديم: عثمان محمد أمين، مصر: مكتبة الخانجي.

12- أحمد بن محمد بن عبد ربه. (1953). *العقد الفريد*. مصر: لجنة التأليف والترجمة.

13- إسماعيل الصيفي. (1990). *بيئات نقد الشعر عند العرب من الجاهلية حتى العصر الحديث* (الإصدار 2). الإسكندرية: دار المعرفة.

14- الحسن بن الهيثم. (1983). *كتاب المناظر في الإبصار على الاستقامة*. مراجعة: عبد الحميد صبره، الكويت: السلسلة التراثية.

15- جهاد حسن كاظم. (2013). البينية نشأتها ودلالتها. *مجلة جامعة الملك سعود للآداب،(المجلد 25)*.

16- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي. (بلا تاريخ). *معجم البلدان*. بيروت، لبنان: دار صادر.

17- ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي ابن البيطار. (بلا تاريخ). *الجامع لمفردات الأدوية والأغذية*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

18- فتحي حسن ملكاوي. (2011). *منهجية التكامل المعرفي-مقدمات في المنهجية الإسلامية* (الإصدار 1). المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

19- محمد بن موسى الخوارزمي. (1937). *الجبر والمقابلة*. تحقيق: علي مصطفى مشرفة، ومحمد مرسي أحمد، مصر: مطبعة بول باربيه.

20- نور الدين بنخود. (بلا تاريخ). *دليل الدراسات البينية العربية في اللغة والأدب والإنسانيات*. السعودية: مركز دراسات اللغة العربية وآدابها، جامعة الإمام محمد بن سعيد الإسلامية.

21- ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون. (1958). *مقدمة- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر*. تحقيق: أ.م.كاترمير، مكتبة لبنان-علي مولا.

22- Keestra, M., & Menken, S. (s.d.). *An Introduction to interdisciplinary Research, Theory and Practice*. Récupéré sur www.cambridge.org/core/books.